تبادل أداتي الشرط (إن) و(إذا) وأثره في الدلالة

د . أيوب جرجيس العطيّة *

مقدمة

عُني النحاة بأسلوب الشرط ، وذكروا أركانه الثلاثة : فعل الشرط ، وجوابه ، وأدواته ، وعندما تحدثوا عن الأدوات فرّقوا بينها ، وأشاروا إلى معانيها ، وأن لكل أداة معنى تختصّ به ، وقالوا: إنّ هذه الأدوات (إنْ) و (إذا) لا يمكن أن تتبادل فيما بينها في المواقع .

وهذا ما ذهب إليه جمهور النحويين [1]، والأصوليون [2] ، وكثير من المفسرين [3]، والبلاغيون [4]؛ لأن (إنْ) تستعمل في المعاني المحتملة الوقوع ، والمشكوك في حصولها ، والنادرة ، ومنه قوله تعالى : (فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ) [5] ، وقوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا [6] ، ولذلك قبُح قولهم : إن احمرّ البُسر ، قال سيبويه : « ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمرّ البُسر كان حسنا ، ولو قلت : آتيك إن احمرّ البسر كان قبيحا فـ (إنْ) أبدا مبهمة.. »[7].

ولما رأى النحاة أنّ (إنْ) استعملت في الأمر المحقق كما في قوله تعالى : (أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)[8] ، وقولهم : إنْ مت فاقضوا عني ديني ، قالوا : وقد تدخل (إنْ) على المبهم المعلوم زمانه .

أما (إذا) فلا تستعمل إلا في الأمر المقطوع بحصوله وللكثير الوقوع كقوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ)[9] ، وقوله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ)[10] .

ولكن النحاة أنكروا أن تأتي (إنْ) بمعنى (إذا) وجعلوا بينهما بونا شاسعا وحدا فاصلا ، وحجتهم أنّ (إنْ) للأمر المشكوك فيه ، و (إذا) للأمر المتحقق من وقوعه ولما كثر وقوعه .

ومن خلال بحثي في المصادر النحوية واللغوية عثرت على رأي يخالف جمهور النحاة ، وهو رأي لأبي العباس ثعلب فذكر أن لـ(إذا) معنيين ، معنى (إن) ، ومعنى الوقت[11]، وتبعه ابن يعيش فقال : ((وربما استعملت (إن) في موضع (إذا) و(إذا) في موضع (إن)))[12]، وكذلك ابن أبي الربيع السبتي الأندلسي (ت

---

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة تعز .

688هـ) إذ ذهب إلى أنّ (إنْ) يمكن أن تأتي بمعنى (إذا) وذلك في معرض حديثه عن الجزم بـ (إذا) في الشعر قال : « وجزم بها لتشبهها بـ (إنْ) ... أو تكون قد ضمنت في ذلك الموضع معنى (إنْ) كما قال الشاعر[13] :

إذا قصرتْ أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

ألا ترى أنه لو قال : إنْ قصرت أو متى قصرت لكان المعنى واحدا . »[14] .

وهذا الرأي ذكره أبو حيان [15] وأنكره ، ونقله السيوطي [16] ولم ينسباه لأحد ، وقد نسبه التفتازاني للكوفيين[17]، وقد تأولوا الشرط في نحو قوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[18] ، ونحو قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا)[19] بأن (إنْ) بمعنى (إذا) ؛ لأنه لا يصحّ هنا الشك ، في حين ذكر صاحب الإنصاف[20] أن الكوفيين أولوا الآيات بـ (إذ) .

وقال بعض المفسرين كالزمخشري[21] ، وأبي حيان[22] ، والجلالين[23] ، والصاوي[24] ، وتبعهم الزركشي[25]: إنّ (إنْ) يمكن أن تأتي بمعنى (إذا) وذلك عند تفسيرهم قوله تعالى : (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا)[26] وهو كقوله تعالى : (إن يشأ يذهبكم أيّها الناس ويأت بآخرين)[27] قالوا : وهو تعالى لم يشأ .

وموقف الزمخشري[28] وأبي حيان[29] يبدو متناقضا ؛ لأنه أقرّا بالتبادل بين (إنْ) و (إذا) مرة وأنكراه مرة أخرى عند قوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ...)[30] وذكرا أن (إذا) تستعمل لما تيقن وجوده، أو لأنّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه ، أما السيئة فلا تقع إلا في الندرة . وإلى هذا ذهب ابن القيم عند قوله (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور)[31] وقال ابن القيم: وتأمل قوله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إيّاه)[32] كيف أتى بـ (إذا) هاهنا لما كان مس الضر في البحر محققاً بخلاف قوله تعالى (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإذا مسه الشر فيئوس قنوط)[33] فإنه لم يقيد مسّ الشر هاهنا بل أطلقه ، ولما قيده بالبحر الذي هو متحقق فيه ذلك أتى بأداة (إذا) وتأمل قوله تعالى : (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤساً) كيف أتى هنا بـ (إذا) المشعرة بتحقيق الوقوع المستلزم لليأس فإن اليأس إنما حصل عند تحقق مس الشر فكان الإتيان بـ (إذا) هاهنا أدلّ على المعنى المقصود من (إنْ) بخلاف قوله تعالى (وإذا مسه الشر فيئوس قنوط)[34] فإنه بقلة صبره وضعف احتماله متى توقع الشر أعرض وأطال في الدعاء فإذا تحقق وقوعه كان يئوساً))[35].

ويلحظ من أقوال الزمخشري وأبي حيان أنهم جعلوا الكثرة والقلة ،أو تقييد الشر وعدم تقييده بالبحر ضابطاً في استعمال (إذا) و (إن) في حين أن النحاة يجعلون الضابط في استعمالها هو هتحقق الوقوع ومحتمل الوقوع أو لما

كان مشكوكاً فيه .

والذي يبدو لي أن في هذه الآيات تبادلاً بين (إذا) و (إن) لأن قوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة .....) والحسنة هي الخير والسيئة هي المصيبة قد وردت في آيات فيها(إن) في المعنى نفسه نحو قوله تعالى: (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك)[36] ومثله (إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها)[37] والحسنة هي الخير أيضاً والسيئة هي المصيبة وكلتاهما واقعتان .

وكذلك في قوله تعالى (وإنا إذا أذقنا .....) جاء مثله قوله تعالى (ولئن أذقناه رحمةً منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ...)[38] والرحمة واقعة حتماً في الموضعين فيما أرى ومع هذا استعمل (إن) في الموضع الثاني .

والتقابل واقع بين قوله تعالى (وإذا مسه فذو دعاءٍ عريض) وقوله تعالى (وإذا مسه الشر فيئوس قنوط) والشر واقع متحقق في كلا الموضعين وليس متوقعاً كما قال ابن كقوله تعالى (إذا مس الإنسان الضر دعانا)[39] وقوله تعالى (إذا مس الإنسان ضر دعوا ربهم منيبين إليه)[40] وما أصبح يئوساً إلا لأن اليأس قد أصابه وتحقق وقوعه القيم إلا أن القرآن استعمل (إن) بدلاً من (إذا).

وقال عضيمة : " إن (إن) الشرطية تقتضي تعليق شيء علي شيء لاستلزام تحقق وقوعه ولا إمكانه ، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى : (قلْ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)[41] لكن وقع (إن) للتعليق على المستحيل قليل "[42]. وكأن عضيمة لما رأى التبادل بينهما قال إنّ (إنْ) تقتضي تعليق شيء على شيء ولا تستلزم وقوعه ؛ هرباً من عدم التصريح بالتبادل.

وعدت إلى أقوال العرب في كتب اللغة ودواوين الشعر وكتب الحديث والسيرة ، فوجدت ما يقارب عشرين شاهدا نثريا، وأكثر من مائة شاهد شعري على أنّ (إنْ) تتبادل مع (إذا) في المواقع وتأتي بمعناها .

ومن الشواهد النثرية :

1. حديث : (إذا همَّ عبدي بسيئة ..... فإنْ عملها فاكتبوها ..)[43]. وفي رواية : (فإذا عملها ..)[44].
2. حديث : (إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ..... وإنْ صلى قائما فصلوا قياما ..)[45] وفي رواية : (فإذا صلى قاعدا ..)[46].
3. حديث : (يعقد الشيطان على قافية أحدكم ثلاث عقد فإذا نام .... فإنْ استيقظ فذكر الله انحلت عقدة .... فإنْ توضأ .... فإنْ صلى)[47] . وفي رواية : (وإذا توضأ .... فإذا صلى)[48] .
4. حديث : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر .... وإذا زاغت صلى الظهر ثم ركب)[49]. وفي رواية : (فإنْ زاغت الشمس .....)[50]

5.حديث : (إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرِّب ، ثم إنْ زنت ..... ثم إنْ زنت ..)[51]. وفي رواية : (إذا زنت الأمة .... ثم إذا زنت .... ثم إذا زنت ..).[52]

6.حديث معاذ : (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإنْ هم أطاعوك لذلك علّمهم .... فإنْ هم أطاعوك ... فإنْ هم أطاعوك)[53].وفي رواية : (فإذا فعلوا فأخبرهم ..... فإذا أطاعوك ..).[54]

7.حديث : (أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني .. فإنْ ذكرني في نفسه .... وإنْ ذكرني .. وإنْ أتاني يمشي ..)[55]. وفي رواية : (وأنا معه حيث ذكرني ... وإذا أقبل يمشي ..)[56].

8.حديث : (إذا أرسلت كلابك المعلمة .... وإنْ خالطها كلاب ..) [57] . وفي رواية : (وإذا خالط كلابا .....)[58].

9. قول ابن عباس : (فنحن إذا أقمنا ما بيننا وبين تسع عشرة (ليلة) صلينا ركعتين ، وإنْ زدنا على ذلك أتممنا الصلاة) [59] .

10. قول عبد الرحمن بن عوف عن مصعب بن عمير : (إنْ غطي رأسه بدت رجلاه ، وإنْ غطي رجلاه بدا رأسه)[60] .وفي رواية : (إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه) [61].

11. قول مجاهد : (إذا اختلطوا صلوا قياما ، وزاد ابن عمر عن النبي : وإنْ كانوا أكثر من ذلك فليصلوا قياما وركبانا)[62].

12. قول الثوري : (إذا جلد العبد ثم أعتق جازت شهادته ، وإنْ استقضي الحدود فقضاياه جائزة)[63]

13. قول الشعبي : (إذا ساق دابة فأتبعها فهو ضامن لما أصابت ، وإنْ كان خلفها مترسلا لم يضمن)[64] .

14. قول النخعي : (إذا كان المستحلف ظالما فنيّة الحالف (أي هي المعتبرة) ، وإنْ كان مظلوما فنيّة المستحلف)[65].

15. قول الشافعي : (إنّ الوصية للأقربين منسوخة زائل فرضها إذا كانوا وارثين فبالميراث ، وإنْ كانوا غير وارثين فليس بفرض أن يوصى لهم)[66].

16. وقوله أيضا : (فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين ، فإنْ لم يكن إجماع فبالقياس)[67].

17. قول النضر بن الحارث : (وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإذا أخبركم (أي الرسول) بذلك فاتبعوه فإنه نبي ، وإنْ لم يفعل فهو رجل متقوِّل)[68] .

18. قول الترمذي ، وقال بعضهم : (إذا طاف بعد العصر لم يصل حتى تغرب الشمس ، وكذلك إنْ طاف بعد

صلاة الصبح)[69] .

19. قول نافع : (إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، فإنْ لم يكن له فرس فله سهم)[70]

20. المثال الذي يورده النحاة : زيد وإنْ كان غنيا إلا أنه بخيل ، ويقرّون بأنه يفيد التحقيق لا الشك [71].

أما الشواهد الشعرية فهي كثيرة أذكرُ قسما منها هنا:

قول لبيد[72] :

إذا اقتصـــــدوا فمقتصـــــدٌ كـــــريمٌ ... وإنْ جـــاروا ســـواء الحـــق جـــارا

2- قول أوس بن حجر[73] :

ولســـت بـــأطلس الثـــوبين يصـــبي ... حليلتـــــه إذا هجـــــع النيـــــامُ

يقـــــرّع للرجـــــال إذا أتـــــوه ... وللنســـــوان إنْ جـــــئن الســـــلامُ

3- قول بشامة بن عمر[74] :

إذا أقبلـــــت قلـــــت : مـــــذعورةٌ ... مـــن الرمـــد تلحـــق هيقـــا ذمـــولا

وإنْ أدبـــــرت قلـــــت : مشـــــحونة ... أطـــاع لهـــا الـــريم قلعـــا جفـــولا

4- قول عروة بن أذينة[75] :

إذا اقتربـــت سُـــعدى لجحِـــت بهجرهـــا ... وإنْ تغـــترب يومـــا يرُعْـــك اغترابهـــا

5- قول دريد بن الصمّة[76]:

إذا طردنـــا كســـونا الخيـــل أنضـــية ... وإنْ طُردنـــا كأنّـــا خلفنـــا زُورُ

6- قول ابن مقبل[77] :

إذا كنـــت متبوعـــا قضـــيتَ وإنْ أكـــن ... أنـــا التـــابع المـــولى فـــإني مياســـرهْ

7- وله[78] :

إذا نطقـــنَ رأيـــت الـــدرّ منتثـــرا ... وإنْ صـــمتنَ رأيـــت الـــدرّ مكنونـــا

8- قول امرئ القيس[79] :

إذا أقبلـــــت قلـــــت : دبّـــــاءة ... مـــن الخضـــر مغموســـة في الغُـــدُرْ

وإن أدبـــــرت قلـــــت : أئفِيَّـــــةٌ ... ململـــــة لـــــيس فيهـــــا أثـــــرْ

9- قول عنترة[80] :

تريـــك إذا ولّـــت ســـناما وكـــاهلا وإنْ أقبلـــت صـــدرا لهـــا يترجـــرجُ

10- قول ربيعة بن مقروم[81] :

إذا مـــا علـــتْ حزْنـــا بـــرتْ صـــهواته وإنْ أســـهلتْ أذرتْ غبـــارا مطنّبـــا

11- قول المهلهل[82]:

قـــوم إذا عاهـــدوا وفـــوا وإنْ عقـــدوا شـــدّوا وإنْ شـــهدوا يـــوم الـــوغي اجتهـــدوا

12- قول سليك بن سلكة[83]:

إذا ســـهّلت جنّـــتْ وإنْ أحزنـــتْ مشـــتْ وتعشـــى بهـــا بـــين البطـــون وتصـــدفُ

13- قول الشنفرى[84] :

وإني لحلـــوٌ إنْ أريـــدت حـــلاوتي ومُـــرٌ إذا نفـــس العـــزوف اســـتمرّتِ

14- قول قعنب بن أمّ صاحب[85] :

صـــمٌ إذا ســـمعوا خـــيرا ذُكـــرتُ بـــهِ وإنْ ذُكـــرتُ بشـــر عنـــدهم أذنـــوا

15- قول عقيل بن علفة[86] :

وكُـــنْ أكـــيس الكيســـى إذا كنـــتَ فـــيهم وإنْ كنـــت في الحمقـــى فكـــنْ أنـــت أحمقـــا

16- قول الأعشى[87] :

ينـــوءُ بهـــا بَـــوْصٌ إذا مـــا تفضّـــلتْ توعّـــب عـــرض الشـــرعبي المغيّـــلِ

نيـــاف كغـــض البـــان تـــرتجّ إنْ مشـــتْ دبيـــب قطـــا البطحـــاء مـــن كـــل منهـــلِ

17-قال الطفيل[88] :

إذا يممـــــت خـــــيلا مســـــرعات جـــرى بنحـــوسٍ طـــيرهم الغـــرابُ

وإنْ مـــرّت عـــلى قـــوم أعـــادٍ بســـاحتهم فقـــد خســـروا وخـــابوا

18-قال الحطيئة[89] :

تـــدرّون إنْ شُـــدَ العصـــابُ عليـــكم ونـــأبى إذا شُـــدَ العصـــابُ فـــلا نـــدِرْ

19-قال عروة بن أذينة[90] :

إذا مـــا رضـــوا كـــان الرضـــاءُ رضـــاءهم وإنْ غضـــبوا أوهـــى الأديـــم غضـــابُها

20-قول ابن الصمّة[91] :

إذا قـــارعوا عنـــه لم يُقرعـــوا وإنْ قـــدموه لكـــبشٍ نطـــحْ

21-قول عنترة [92] :

إذا طُولِبـــوا يومـــا إلى الغـــزو شـــمّروا وإنْ نُـــدبوا يومـــا إلى غـــارة جـــدّوا

22-وله أيضا [93] :

إذا جـــاروا عـــدلنا في هـــواهمْ وإنْ عـــزّوا لعـــزّتهم نـــذلُّ

23- ومما ينسب للحادرة [94] :

وتقـــي إذا مسّـــتْ مناســـمها الحصـــى وجعـــاً وإنْ تُزجـــرْ بـــه تترّفـــعِ

24- قول تأبط شرا [95] :

إذا راع روعَ المـــوتِ راع وإنْ حمـــى حمـــى معـــه حُـــرٌ كـــريمٌ مصـــابرُ

25- قول لبيد [96] :

إذا مـــا نـــأى منـــي بـــراحٌ نفضـــتُهُ وإنْ يـــدنُ منّـــي الغيـــبُ أُلجـــمْ فأركـــبِ

26- وله [97] :

إذا حركتهـــا الســـاقُ قلـــتُ: نعامـــةٌ وإنْ زُجـــرتْ يومـــا فليســـتْ برُعبـــوبِ

27- وله [98] :

إذا مسّـــهُ الشـــر لمْ يكتئـــبْ وإنْ مسّـــهُ الخـــيرُ لمْ يُعجـــبِ

28- قول معد يكرب [99] :

شـــجاع إذا مـــا أمكنتنـــي فرصـــة وإنْ لم تكـــن لي فرصـــة فجبـــانُ

29- قول النابغة الذبياني [100] :

إذا جاهدتـــه الشـــدُّ جـــدّ ، وإنْ ونـــتْ تســـاقطْ لا وانٍ ولا متخـــاذلُ

30- قول بعض بني (جرم) من طيء [101] :

إذا أخصـــبتم كنـــتم عـــدوا وإنْ أجـــدبتم كنـــتم عيـــالا

31- قول رجل من بني (قريع) من تميم [102] :

إذا أكلـــوا لحمـــي وفـــرْت لحـــومهم وإنْ يهـــدموا بيتـــي بنيـــتُ لهـــمْ مجـــدا

32- قول أبي جلدة اليشكري [103] :

إذا قلت : مالا ، قلت : قيسٌ عشيرتي ... تجور علينا عامدا في قضائكا
وإنْ كانت الأخرى فبكرُ بن وائل ... بزعمك يخشى داؤها بدوائكا

33- قول رجل من غنى [104] :

إذا افتقرت نأى واشتد جانبه ... وإنْ رآك غنيا لانَ واقتربا

34- قول حازم بن مرداس [105] :

إذا رام باب السجن ارتجّ ... وشدّ بأغلاقٍ لهنّ صريرُ
وإنْ رام منه مطلعا ردّ شأوهُ ... أمينان في الساقين فهو حصيرُ

35- قول سويد بن أبي كاهل [106] :

بُسُطُ الأيدي إذا ما سُئلوا ... نُفُعُ النائلِ إنْ شيءٌ نفعْ
وُزُنُ الأحلامِ إنْ هم وازنوا ... صادقو البأس إذا البأسُ نصعْ

36- قول أبي البطحاء القيني [107] :

إذا لبسوا عمائمهم ثنوها ... على كرَمٍ وإنْ سفروا أناروا

37- قول خليفة مولى قيس بن ثعلبة [108] :

إذا استُجهِلوا لم يعزبِ الحلمُ عنهمُ ... وإنْ آثروا أن يجهلوا عظُمَ الجهلُ

38- وله [109] :

ألم تر أن القتل غالٍ إذا رُضوا ... وإنْ غُضبوا في موطن رخصَ القتلُ
إذا طلبوا ذحلا فلا الذحل فائتٌ ... وإنْ ظلموا أكفاءهم بطلَ الذحلُ

39- قول وداك بن ثميل المازني [110] :

إذا حدثوا لم يخشَ سوءُ استماعهم ... وإنْ حدّثوا أدوا بحسنِ بيانِ

40- كان النبي ينقل التراب يوم الخندق ويتمثل قول ابن رواحة [111] :

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
إنّ الألى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

وفي رواية [112] : وإنْ أرادوا ..

41- وله [113] :

إذا انبعث من مبرك غادرت به ... توائم أمثال الزبائب ذُيّلا
فإنْ بركت خوّتْ على ثفناتها ... كأنّ على حيزُومها حرفَ أعْبَلا

42- قول حسان[114] :

أتجمع شوقا إنْ تراخت بها النوى ... وصدّاً إذا ما أسقبتْ وتجنّبا

43- قول عبد الرحمن بن حسان[115] :

عن يساري إذا دخلت من البا ... بِ وإنْ كنت خارجا فيميني

44- قول عمران بن حطان[116]:

يوما يمانٍ إذا لاقيت ذا يمنٍ ... وإنْ لقيت معديا فعدناني

45- قول العجاج[117] :

إذا علا رأس يفاع قرّبا ... وإنْ تونّى التاليات عقّبا

46- وقوله أيضاً[118] :

إذا أراد خُلقا عفقنا ... وإنْ أراد عُمسة تعمّسا

47- قول جرير[119] :

قوم إذا فاجأوا أبلوا وإنْ غُلبوا ... لا يُحجمون ولا يدرون ما الهربُ

48- قول الأخطل[120] :

إنْ زرتُ أهلكِ لم يبالوا حاجتي ... وإذا هجرتكِ شفّني هجراني

49- قول ذي الرمّة[121]:

تزينك إنْ جرّدتها من ثيابها ... وأنت إذا جرّدت يوما تشينها

50- قول طريح بن إسماعيل الثقفي[122] :

يفرحون إذا ما أكبرهم طاوعهم ... يوما بيسر ولا يشكون إنْ نُكبوا

51- قول المقنع الكندي[123] :

كمُهر سوءٍ إذا رفّعت سيرتهُ ... رام الجماح وإنْ أخفضته حزَنا

53- قول جرير[124] :

إذا رحلوا جزعتَ وإنْ أقاموا ... فما يُجدي المقامُ على الرحيلِ

52- وله[125] :

إذا الأمـــرُ نـــابَ الحـــيَّ لمْ يقـــضِ دونَـــهُ وإنْ طـــرق الأضـــيافُ لـــيلا تبسّـــما

53- قول الأخطل [126] :

إذا غـــاب عنّـــا غـــاب عنّـــا فرائُنـــا وإنْ شـــهِدَ أجـــدى فيضُـــه وجداولُـــهْ

54- قول ذي الرمة [127] :

يمنيـــاً إذا كانـــت يمينـــاً وإنْ تكـــن شـــمالا ينـــازعني الهـــوى عـــن شـــماليا

55- قول محمد بن بشير الخارجي [128] :

إذا هـــي حثّثـــه عـــلى الخـــير مـــرّة عصـــاها وإنْ همّـــتْ بشـــر أطاعهـــا

56- وقال آخر [129] :

إذا ضـــيّقت أمـــرا ضـــاق جـــدا وإنْ هوّنـــت مـــا قـــد عـــزّ هانـــا

الخـاتـمـة

ويمكن أن أوجز أهم نتائج هذا البحث وهي :

1- أنّ (إنْ) تقع موقع (إذا) كما ثبت في الشواهد النثرية والشعرية خلافا للنحويين ولكثير من المفسرين والأصوليين والبلاغيين ، وأن قول النحاة : إن احمرّ البسر ، وإن غابت الشمس ، قبيح ، فيه نظر ؛ لأنه ثبت أنّ (إن) تقع موقع (إذا) ، بل ورد عن العرب قولهم : إن غابت الشمس ، وأن مسلك النحاة في وضع حد فاصل بين الأداتين حيث لا يمكن أن يلتقيا في الدلالة غير سليم .

2- أن ما ثبت لأدوات الشرط من تعاور واتحاد في الدلالة بين (إنْ) و (إذا) يدل على استقراء النحاة الناقص لبعض من الحقائق اللغوية ، وتحتاج إلى إعادة نظر من الدارسين .

3- أن ما ذهب إليه الكوفيون في تأويل (إن) من أنها تفيد اليقين ليس سليماً؛ لأن (إن) في قوله تعالى : (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) ، وقوله تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا) لا تفيد الشك ولا اليقين ، بل هي شرط مجازي .

الهوامش:

1- ينظر الكتاب 3/ 60 ، والمقتضب 2/ 56 ، والمقتصد في شرح الإيضاح 2/ 1117 ، وشرح المفصل لابن يعيش 9/ 4 ، والكافي في الإفصاح 2/ 246 ، وشرح التسهيل 4/ 81 ، والأزهية 45-48 ، ورصف المباني 104-111 ، والمغني 37-38 ، والارتشاف 4/ 1866 ، والرضي 4/ 91 ، والجنى 367 ، والهمع 2/ 452 ، واللباب 1/ 56 .

2- ينظر تشنيف السامع للسبكي 1/ 252 ، والبحر المحيط للزركشي 2/ 24 ، والمحصول للرازي 2/ 565 ، وكشف الأسـرار 1/ 192 ، والفروق 1/ 102 .

3 - ينظر مختصـر تفسير ابن كثير 1/ 529 ، وتفسير البيضاوي 1/ 54 ، وتفسير أبي السعود 3/ 53 ، وتفسير الطبرسي 6/ 130 ، والطبري 6/ 291 ، والرازي 12/ 32 .

4 - ينظر مفاتيح العلوم للسكاكي 51 ، والمطول للتفتازاني 154-155 .

5 ـ آية 191 من سورة البقرة .

6 ـ المائدة 6

7- الكتاب 3/ 60 .

8 ـ سورة الأنبياء 34 .

9 ـ البقرة 180 .

10 ـ آل عمران 25 .

11- مجالس ثعلب 1/ 374 .

12- شـرح المفصل 9/ 4 .

13 ـ البيت لقيس بن الخطيم . ينظر ديوانه 45 ، والكتاب 3/ 61 .

14 ـ الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح 2/ 246 ـ 247 .

15 ـ ارتشاف الضـرب 4/ 1887 .

16 ـ الهمع 2/ 452

17 ـ المطول 158 .

18 ـ المائدة 57 .

19 ـ البقرة 23 .

20 ـ 2/ 632

21 ـ الكشاف 3/ 242 .

22 ـ البحر المحيط 8 / 108 .

23 ـ تفسير الجلالين 4/ 277 .

24 ـ حاشية الصاوي على الجلالين 4/ 277 .

25ـ البرهان 4/ 201 .

26 ـ الإنسان 28 .

27- النساء 133 .

28 الكشاف 2/ 144

29 البحر المحيط2/ 370، وإلى هذا ذهب بعض الباحثين المعاصرين ومنهم : د. مازن الوعر ، في كتابه " جملة الشرط عند النحاة والأصوليين في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي ، ص29 – 30 .

30 الأعراف 131.

31 الشورى42

32الأسراء67

6 فصلت 49 وقد وردت في النص خطأ بقوله(وإن مسه الشر فذو دعاء عريض)

7الأسراء83 .

34 فصلت51 .

9 بدائع الفوائد1/ 47-48

10النساء78

11آل عمران20

38 فصلت50

39 يونس12

40 الروم33

41 الزخرف 81.

42 دراسات 1/ 628– 629.

43 ـ صحيح مسلم 128 باب الإيمان

44 – المصدر نفسه 128 باب الإيمان . .

45– البخاري رقم 371 باب الصلاة في الثياب .

46 – البخاري 657 باب الجماعة ، وينظر مسلم 411 و 413 باب الصلاة .

47 ـ البخاري 1091 باب التهجد ـ

48 ـ مسلم 776 باب صلاة المسافرين .

49 ـ البخاري 1060 باب قصر الصلاة .

50 – البخاري 1061 ، ومسلم 70 صلاة المسافرين.

51 ـ البخاري 2045 باب البيوع ورقم 6447 باب المحاربين

52 ـ البخاري 2417 باب العتق .

53 ـ البخاري 1425 باب الزكاة ، ومسلم 19 الإيمان .

54 ـ البخاري 1289 الزكاة .

55 ـ البخاري 1969 باب التوبة .

56 ـ البخاري 2675 التوبة .

57 ـ البخاري 5166 باب الذبائح .

58 ـ البخاري 5167 باب الذبائح .

59 ـ تحفة الأحوذي 3/ 112 .

60 ـ البخاري 1216 الجنائز .

61 ـ البخاري 1217 و 6083 ، ومسلم 94 الجنائز .

62ـ البخاري 901 صلاة الخوف .

63 ـ البخاري باب الشهادة 8 .

64 ـ البخاري باب الديات .

65 ـ البخاري باب الإكراه رقم 7 .

66 ـ الرسالة 116 الفقرة 17 .

67 ـ الرسالة 296 الفقرة 54 .

68 ـ سيرة ابن هشام 1/ 322 .

69 ـ تحفة الأحوذي 3/ 606 .

70 ـ البخاري 3988 باب المغازي .

71 ـ شـرح الرضي 4/ 120 .

72 ـ سيرة ابن هشام 4/ 219 ، وديوانه 74 .

73 ـ ديوانه 115 ، وأطلس : كدر، وقيل : أراد دنس الثياب ، ويقرّع : يقرعهم ويذبهم عنه .

74 ـ المفضليات 1/ 290 .

75 ـ ديوانه 13 .

76 ـ ديوانه صـ92 ، وأنضية : جمع نضـى وهو نصل السيف .

77 ـ ديوانه 154 .

78 – المصدر السابق 329 .

79 ـ ديوانه 166 ، والدباءة : القرعة ، والأثفية : الصخرة المدورة .

80 ـ ديوانه 40 .

81 ـ شـرح المفضليات 2/ 1469 .

82 ـ ديوانه 25 .

83 ـ نقد الشعر 82 .

84 ـ شـرح المفضليات 1/ 531 .

85 ـ شـرح الحماسة 2/ 1086 .

86 ـ شـرح الحماسة 2/ 52 .

87 – ديوانه 140 .

88 – ديوانه 256–257 .

89 – ديوانه 93 .

90 – ديوانه 19 .

91 – ديوانه 51 .

92 – ديوانه 180 .

93 – ديوانه 241 .

94 – زيادات ديوانه 99 .

95 – ديوانه 31 .

96 – ديوانه 30 .

97 – ديوانه 30 .

98 – ديوانه 44 .

99 – شرح الحماسة 1/ 215 .

100 – ديوانه 117 .

101 – شرح الحماسة 1/ 289 .

102 – شرح الحماسة 2/ 648 .

103 – الأغاني 11/ 296 .

104 – الأصمعيات 55 .

105 – شرح الحماسة البصرية 2/ 125 .

106 – شرح المفضليات 1/ 885 .

107 – الحماسة البصرية 1/ 132 .

108 – شرح الحماسة البصرية 2/ 923 .

109 – شرح الحماسة 2/ 924– 925 .

110 – شرح الحماسة 1/ 153 .

111 ـ البخاري 6246 و 3878 باب المغازي ، ومسلم 1803 .

112 ـ البخاري 3880 .

113 ـ ديوانه 405، وخوت : تجافت ، الثفنة من البعير الركبة ، أو المرفقان ، والحيزوم الصدر ، والعبل : الجبل الأبيض أو الحجر الغليظ .

114 – ديوانه 76 .

115 – الكامل 1/ 174 .

116 ـ الكامل 2/ 127 .

117ـ ديوانه 388 .

118 – ديوانه 127 .

119 ـ ديوانه068

120 ـ ديوانه 468

121 ـ ديوانه 535 ، وجرد الثانية أي لبست الجرود ، وهي الأثواب البالية .

122ـ الأغاني 4/ 310 .

123 ـ الحيوان 3/ 139 .

124 – ديوانه 404 .

125 – ديوانه 447 .

126 – ديوانه 130 .

127 – ديوانه 539 .

128 – الأغاني 16/ 130 .

129 – الكامل 1/ 199 .

المراجـع

1. ارتشاف الضـرب من لسان العرب ، تحقيق د. رجب عثمان محمد ، ط1 ، 1998 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (محمد بن محمد العمادي ت 951هـ) ، ط2 ، 1990 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

3. الأزهية للهروي ، وشـرحه ونشـره أحمد صقر ، ط3 ، 1981 ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

4. الأصمعيات ، اختيار عبد الملك بن قريب (216هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط3 ، دار المعارف ، مصـر .

5. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة مصورة عن دار الكتب ، مؤسسة جمال للطباعة ، بيروت .

6. أنوار التنزيل وأسـرار التأويل لأبي الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت .

7. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (745هـ) ط2 ، 1990 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

8. بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت .

9. البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط2 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصـر .

10. تحفة الأحوذي بشـرح جامع الترمذي للإمام أبي العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري راجعه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشـر ، بيروت .

11. تشنيف السامع بجمع الجوامع للسبكي ، شـرح بدر الدين الزركشي ، تحقيق أبي عمرو الحسيني ، ط بدون ، 2000م ، دار الكتب العلمية ، بيروت

12. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وزملائه ، ط ، 1993 م دار الكتب العلمية بيروت .

13. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الشعب ، مصـر .

14. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ، ط2 ، 1954 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

15. جملة الشـرط عند النحاة والأصوليين في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي ، ط1، 1999م ، الشـركة المصـرية العالمية للنشـر .

16. حاشية الصاوي على الجلالين ، دار الفكر ، بيروت .

17. الحماسة البصـرية (لعلي بن أبي الفرج البصـري) تحقيق مختار الدين أحمد ، ط3 ، 1983 ، عالم الكتب، بيروت .

18. دراسات لأسلوب القرآن الكريم لـ (محمد عبد الخالق عضيمة) دار الحديث بمصـر .

19. ديوان الأخطل ، شـرح مجيد طراد ، ط1 ، 1995 ، دار الجيل ، بيروت .

20. ديوان الأعشـى ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

21. ديوان أوس بن حجر تحقيق د.محمد يوسف نجم ، ط3 ، 1979 ، دار صادر.

22. ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط4 ، دار المعارف ، مصـر .

23. ديوان ابن مقبل ، تحقيق د. عزة حسن ، 1962 ، وزارة الثقافة ، دمشق .

24. ديوان تأبط شـرا (ثابت بن جابر القيسي) تقديم طلال حرب ، ط1 ، 1996 ، دار صادر ، بيروت .

25. ديوان جرير ، ط1 ، 1991 ، دار صادر .

26. ديوان الحادرة (قطبة بن أوس القيسي) ، تحقيق ناصـر الدين الأسد ، ط3 ، 1991 ، دار صادر ، بيروت.

27. ديوان حسان بن ثابت ، ضبطه عبد الرحمن البرقوقي ، ط3 ، 1983 ، دار الأندلس ، بيروت .

28. ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت .

29. ديوان عروة بن أذينة ، ط1 ، 1996، دار صادر ، بيروت .

30. ديوان زهير بن أبي سلمى ط1 ، 1968 ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

31. ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق عمر عبد الرسول ، دار المعارف بمصـر

32. ديوان عنترة بن شداد ، شـرح د. يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت .

33. ديوان المهلهل بن ربيعة التغلبي ، ط1 ، 1995 ، دار الجيل ، بيروت .

34. ديوان العجاج ، تحقيق د. سعدي ضناوي ، ط1 ، 1997 ، دار صادر .

35. ديوان ذي الرمة ، شـرح زهير فتح الله ، ط1 ، 1995 ، دار صادر .

36.ديوان الشافعي ، تقديم إحسان عباس ، ط1 ، 1996 ، دار صادر .
37.ديوان عبد الله بن قيس الرقيّات ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر .
38.ديوان طرفة بن العبد ، المكتبة الثقافية ، بيروت .
39.ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط3 ، دار المعارف ، مصر .
40.ديوان الطفيل الغنوي ، شرح الأصمعي ، تحقيق حسان فلاح أوغلي ، ط1 ، 1997 ، دار صادر ، بيروت .
41.ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت
42.ديوان الحطيئة شرح يوسف عيد ، ط1 ، 1992 ، دار الجيل ، بيروت .
43.روح المعاني للآلوسي (شهاب الدين محمود الآلوسي 1270هـ) ط4 ، 1985 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
44.الرسالة للإمام الشافعي (محمد بن إدريس 204هـ) تحقيق د. محمد نبيل غنايم ، ط1 ، 1988 ، مركز الأهرام ، القاهرة.
45.رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ، تحقيق سعيد صالح زعيمة ، بدون (ط ، ت) ، دار الناشر ابن خلدون .
46.سمط اللآلئ ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (487هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، 1936م ، القاهرة .
47.السيرة النبوية لابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري 218هـ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري وزميليه ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
48.شرح اختيارات المفضل الضبّيّ للخطيب التبريزي ، تحقيق فخر الدين قيادة ، ط3 ، 2002 ، دار الفكر ، دمشق .
49.شرح الأشموني ، على ألفية ابن مالك ، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ، ط1 ، 1998 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
50.شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق د. عبد الرحمن السيد ، ومحمد بدوي المختون ، ط1 ، 1990 ، دار هجر ، مصر .
51.شرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين الاستراباذي ، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ، ط1 ، 1998 . دار الكتب العلمية بيروت .
52.شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري ، تحقيق د. علي المفضل حمودان ، ط1 ، 1992 ، دار الفكر ، دمشق .
53.شرح القصائد السبع للتبريزي لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (328هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر .
54.شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت
55.صحيح البخاري ، ط4 ، 1990 ، دار ابن كثير دمشق .
56.صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ط1 ، 1994، دار الخير ، دمشق .
57.الفروق للعلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ، وبهامشه أنوار البروق على أنواء الفروق للشيخ قاسم بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن الشاط ، عالم الكتب ، بيروت .
58.الكتاب لسيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط3 ، 1983 ، عالم الكتب ، بيروت

59.الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح لابن أبي الربيع السبتي الأندلسي (688هـ) تحقيق د. فيصل الحفيان، ط1 ، 2001 ، مكتبة الرشد ، الرياض .

60. الكشاف للزمخشري (د ، ت) دار الكتاب العربي .

61.كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ، تأليف الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (730هـ) ، طبعة بالأوفست عام 1974م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

62.الكامل في اللغة والأدب للمبرد (285هـ) مؤسسة المعارف ، بيروت .

63.كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدين علي المتقي الهندي (975هـ) ، ط2 ، 1962م ، حيدر آباد .

64.اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري (616هـ) ، تحقيق عبد الإله نبهان ، ط1 ، 1995 ، دار الفكر ، بيروت .

65.المحصول في علم أصول الفقه ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، ط2 ، 1999م ، المكتبة العصرية ، صيدا .

66. مجالس ثعلب(أحمد بن يحيى) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط5، 1987م دار المعارف بمصر .

67.مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (548هـ) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

68.مختصر تفسير ابن كثير ، ط4 ، 1401هـ ، دار القرآن الكريم ، بيروت

69.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تحقيق سعيد الأفغاني . ط1 ، 1998 ، دار الفكر ، بيروت.

70.المقتضب للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .

71.المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. كاظم بحر المرجان ، 1982 ، بغداد .

72.مفاتيح الغيب للرازي ، المطبعة البهية المصرية بالأزهر ، مصر .

73.مفتاح العلوم للسكاكي أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر (626هـ) ، 1983م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

74.المطول في شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين بن مسعود التفتازاني ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي ، قم – إيران 1407هـ .

75.همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ط1 ، 1998 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .